العلاقة بين العقيدة والسلوك عقيدة الإرجاء نموذجًا

د. صفاء الدين الخزرجي*

الخلاصة

البحث في هٰذه الدراسة يدور حول العلاقة بين العقيدة والسلوك، وبيان نوعها ودراســة تأثيراتها المتبادلة بينهما، وتحديد موقع هٰذه العلاقة في المنظومة المعرفيّة للإســلام، وتأثيرها في الرقيّ المعنويّ والتكامل الروحيّ للإنســان الّذي قد يوصله إلى مقام التوحيد التامّ (الذاتيّ والصفــاتيّ والأفعاليّ)، كما درس البحث الّذي بين أيديكم الجانب السلبيّ لظاهرة الانفكاك بين العقيدة والسلوك، وسلّط الضوء على عقيدة الإرجاء نموذجًا.

(*) الدكتور صفاء الدين الخزرجي، العراق، أستاذ مساعد في قسم الكلام، جامعة المصطفى العالمية. Safa.alkhazraji14@gmail.com

المفردات الدلاليّة: العقيدة، السلوك، المنظومة العقديّة، المنظومة السلوكيّة، العلاقة بين العقيدة والسلوك.

مقدّمةٌ

جاء الإسلام بمنظومةٍ معرفيّةٍ متكاملة الأبعاد لحلّ المشكلة البشريّة، وقد نجح في ذٰلك الى حدٍّ كبيرٍ، سيّما في عهد التجربة النبويّة المباركة، إذ مثّلت التطبيق الأوّل للإسلام، وقد تلخّصت المنظومة المعرفيّة للإسلام في ركيزتين:

- الأولى: المنظومة النظرية.
- الثانية: المنظومة العمليّة.

أمّا المنظومة النظرية فقد اتّجهت لمعالجة مشكلة العصر الفكرية العقدية آنذاك، أعني مشكلة الشرك الّتي كانت ضاربةً بجرانها في المجتمعات الإنسانيّة، سيّما في الجزيرة العربيّة، وذٰلك من خلال تأسيس منظومةٍ عقديّةٍ متكاملةٍ (من المبدإ حتّى المعاد) بمحوريّة التوحيد.

أمّا المنظومة العمليّة فقد تمثّلت في بعدين هما: البعد التشريعيّ والبعد الأخلاقيّ؛ وذٰلك لغرض ضبط إيقاع السلوك البشريّ كي يكون متوائمًا ومتطابقًا مع المنظومة المعرفيّة العقدية الجديدة الّتي جاءت على أنقاض المنظومة العقدية الجاهليّة السابقة المتمثّلة بالشرك، وقد أراد الإسلام أن تقوم حياة الإنسان ـ فردًا وجماعةً ـ وفق هاتين المنظومتين؛ ولذا ورد الحثّ الأكيد في الآيات القرآنيّة على الإيمان والعمل الصالح معًا بوصفهما منظومتين متلازمتين، وأوضح الآيات في ذٰلك ما جاء في سورة العصر المباركة الّتي نسبت ـ رغم اختصارها ـ الخسران لكلّ من تخطّى أو تجاهل هاتين المنظومتين، وانعكس هٰذا الاهتمام على تشريعات الإسلام أيضًا، حيث عنى بهما أشدّ عناية منذ اللحظات الأولى لخلق الإنسان في

هٰذه الدنيا، وحتّى نشـــأته فيها ثمّ رحلته عنها، بل وحتّى بعد قبره وبعثه، وهٰذا ما نلاحظه بوضوحٍ في التشريعات أو الخطوات التالية الّتي تعبّر عن عناية الإســـلام بهاتين المنظومتين ضمن برنامجٍ دقيقٍ:

الخطــوة الأولى: تلقين الإنســـان منذ ولادتـــه هاتين المنظومتـــين عبر عقله اللاشعوريّ والباطنيّ من خلال فصول الأذان والإقامة، الّتي تعدّ دورةً عقديّةً كاملةً تتمثّل بالشهادتين، ودورةً سلوكيّةً كاملةً تتمثّل بالدعوة للصلاة، الّتي تمثّل المحور في الســـلوك الإنســـانيّ؛ إذ إنّ كلّ شيءٍ في الســـلوك تابعٌ لها، قـــال أمير المؤمنين: « » [المفيد، الأمالي، 267].

قال أحد العلماء: «الأذان على قلّة الفاظه مشـــتملٌ على مسائل العقيدة؛ لأنّه بدأ بالأكبريّة وهي تتضمّـــن وجود الله وكماله، ثمّ ثنّى بالتوحيد ونفي الشريك، ثمّ بإثبات الرسالة... ثمّ دعا إلى الفلاح وهو البقاء الدائم وفيه إشارةٌ إلى المعاد، ثمّ أعاد ما أعاد توكيدًا» [العسقلانيّ، فتح الباري، ج 2، ص 62].

على كلّ حالٍ فإنّ هٰذا التلقين في اللحظات الأولى من حياة الإنسان الهدف منه اســـتذكار ما أُخذ عليه في ميثاق الفطرة، من الإقرار بالألوهيّة في عالم الذرّ؛ كي لا يحيد عن ذٰلك في عالم الدنيا [ظ: الطباطبائي، الميزان، ج 16، ص 279].

الخطــوة الثانية: أن يحصل الإنســـان على هاتين المنظومتـــين عن طريق عقله الظاهر، بواسطة مدركات العقل النظريّ والعمليّ؛ كيما يتكامل من خلالهما.

الخطوة الثالثة: تلقين العقل الظاهر للإنسان وهو في حال الاحتضار قبل انتقاله إلى عالم البرزخ المنظومة العقديّة خاصّةً(*)؛ كي يســـتذكر أساسيّات تلك المنظومة ولا ينساها في عالم البرزخ.

(*) قال السيّد اليزديّ في (أحكام المحتضر): «يستحبّ تلقينه الشهادتين والإقرار بالأئمّة الاثني عشر، وسائر الاعتقادات الحقّة على وجهٍ يفهم، بل يستحبّ تكرارها إلى أن يموت». [اليزدي، العروة الوثقى 1: 374]

الخطوة الرابعة: تلقين العقل الباطن للإنســـان (اللا شعور) المنظومة العقديّة خاصّـــةً بعد وضعه في قبره مرّةً، وبعد انصراف النـــاس عن قبره مرّةً أخرى، لهٰذا يســـتحبّ تلقين الإنســـان حال احتضاره وبعد قبره وبعد دفنه وانصراف الناس وبقائه وحده، فتكون مجموع التلقينات للإنسان منذ ولادته إلى ما بعد موته أربعة تلقيناتٍ، والفارق بينها هو أنّ التلقين الأوّل بعد الولادة يمثّل عمليّة اســـتذكارٍ لما هو مودعٌ في فطرته، ولما أخذ عليه في الميثاق، بينما التلقينات الأخرى هي عمليةٌ استذكاريّةٌ وترسيخيّةٌ لما اكتســـبه وحصّله بعقله الظاهر في هٰذه الحياة من عقائد حقّةٍ. [المصدر السابق، ص 443]

الخطوة الخامسة: مرحلة المحاســـبة على كلا المنظومتين كمًّا وكيفًا، فقد روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «ا تزول قدما عبدٍ حتّى يســـأل عن أربعة أشـــياء: عن جسده فيما أبـــلاه، وعمره فيما أفنـــاه، وماله من أين اكتســـبه وفيما أنفقه، وعـــن حبّنا أهل البيت» [الهيثمي، مجمع الزوائد ج 10، ص 346]، والظاهر أنّ فقرة (وعمره فيما أفناه) عامّةٌ تشمل تحصيل المنظومتين معًا.

الخطوة السادسة: تعيين مصير الإنســـان الأبديّ من خلال مرحلة الجزاء على كلا المنظومتين بالمثوبة أو العقوبة عليهما.

في هٰذا المقال ســـندرس نوع العلاقة بين هاتين المنظومتـــين والتأثير المتبادل بينهما، لٰكن تنبغي الإشـــارة قبل ذٰلك الى أنّ هٰذا البحث يرجع شـــطرٌ منه ـ وهو العقيدة ـ إلى علم الكلام، وشطرٌ منه ـ وهو السلوك ـ إلى علم الفقه والأخلاق، بيد أنّ دراســـة العلاقة بين العقيدة والســـلوك بقيت مهملـــةً في البحث العقديّ والفقهيّ والأخلاقيّ، ولم تدرس لا من قبـــل هٰذا العلم ولا من قبل ذاك، كما أنّ الدراسات حولها نادرةٌ جدًّا، وهٰذا ما دفع إلى دراستها في هٰذا البحث.

أوّلًا: مبادئ تصوّريّةٌ عامّةٌ

1. تعريف مفهومي (العقيدة) و(السلوك)

أ. العقيدة

لغــةً: هي من فعل (عقد) بمعنى الإبرام والربط والشــدّ بقــوّةٍ، ومنه اليقين والجزم، واعتقد الشيء أي: اشتدّ وصلب واعتقد كذا بقلبه [ابن منظورٍ، لسان العرب، ج 3، ص 399؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج 1، ص 299، مادّة (عقد)].

وللعقيدة بحسب الاستعمال إطلاقان: فهي إمّا بمعنى الاعتقاد نفسه والجزم ـ أي الإيمان ـ وإمّا بمعنى ما يُعتقد به أي متعلّق الاعتقاد.

أمّــا اصطلاحًا فهي عبارةٌ عن الاعتقاد أو الجــزم بوجود المبدإ الأعلى وصفاته والرســول والمعاد وما يتفرّع على ذٰلك، وهو المعبّر عنــه في اصطلاح المتكلّمين بـ (أصول الدين)، وفي الفلســفة الحديثة بـــ (الرؤية الكونيّــة)؛ ولذٰلك فالعقيدة اصطلاحًا أخصّ من معناها اللغويّ؛ لأنّها ليســت مطلــق الاعتقاد والجزم، بل الجزم الخاصّ بما ذكر.

ب. السلوك

لغةً: هو مــن المصطلحات الحديثة الّتي لم ترد في النصوص الدينيّة، وقد ذهب بعــض اللغويّين إلى أنّه ليس له أصلٌ في اللغة؛ لأنّ الســلوك لغةً هو التجاوز [ابن منظورٍ، لســان العــرب، ج 5، ص 327]، وهو بمعنى السيرة والتصرّفات [قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ص 249]، وما ذكرناه من معنًى فهو معنًى عرفيٌّ مستحدثٌ.

أمّا اصطلاحًا فهو يرادف لفظ الســلوك في القرآن والســنّة (العمل)، وبعض علمائنا يجعل العمل جزءًا من الإيمان والاعتقاد، وستقف على مصطلحي الإيمان والعمل الصالح وتلازمهما في الاصطلاح القــرآنيّ والروائيّ لاحقًا، كما ينبغي أن يشار هنا في مقام التعريف إلى ثلاثة تنبيهاتٍ:

الأوّل: أنّــه لم يرد ـ على ما يبدو ـ مصطلــح (العقيدة) في القرآن الكريم ولا في الســنّة الشريفة، وإنّما الوارد فيهما وفي كثيرٍ من كتــب العقائد ما يعادله وهو مصطلح (الإيمان) الّذي هو عبارةٌ عن (التصديق بالقلب) على رأيٍ [انظر: المرتضى، الذخيرة، ص 536؛ الطوسي، الاقتصاد، ص 140]، وعلى رأيٍ آخر هو : «الإيمان هو التصديق بالقلب واللسان والعمل بالجوارح، وعليه دلّت كثيرٌ من الأخبار المرويّة عن الأئمّة» [الطوسي، الاقتصــاد: ص141]، وعلى رأيٍ ثالثٍ هو «العلم مع الالتزام بمقتضاه وعقد القلب على مؤدّاه، بحيــث تترتب عليه آثاره العمليّة ولو في الجملة» [انظر: الطباطبائيّ، الميزان، 18، ص262]، فعــلى الأوّل يكون العمل خارجًا عن الإيمــان لازمًا له، ويكون شرط كمــالٍ في قبول العمل في الآخرة، وأمّا في الدنيا فالّذي يخرج الإنســان من الكفر إلى الإيمان هو الاعتقاد القلبيّ والإقرار اللســانيّ ولا يشترط العمل في ذٰلك [انظر: سبحانيّ، الإيمان والكفر، ص 15]، وعلى الثاني وكذا الثالث ـ على ما يظهر من عبارته ـ يكون جزءًا من الإيمان داخلًا فيه.

وللإيمان معنًى عامٌّ يشــمل الإيمان بالله ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر: ﴿آمَنَ الرَّسُــولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [سورة البقــرة: 285]، وعليه (فــكلّ من كان عارفًا بالله وبنبيّه وبــكلّ ما أوجب الله عليه معرفته مقــرًّا بذٰلك مصدقًا به فهو مؤمن) [الطوسيّ، الاقتصــاد، ص 140] على الخلاف المتقدم في مدخلية العمل في الإيمان، وفي مقابل ذٰلك الكفر بالمذكورات: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [سورة النساء: 136].

وكما أنّ مصطلح الإيمان عامٌّ يشــمل الإيمان بالله وكتبه ورســله وملائكته، فكذٰلك مصطلح (العقيدة)، فهو عامٌّ يشمل هٰذه العقائد وغيرها، أي كلّ ما يعتقده الإنسان بقلبه؛ لأنّ العقيدة هي كلّ ما ينعقد عليه القلب.

الثاني: تمرّ العقيدة حســب التحليل العقليّ بمرحلتين، المرحلة المعرفيّة وآلتها العقل، والمرحلة القلبيّة أي إذعان النفس والقلب بما عرفه وأدركه العقل. وبعبارةٍ أخرى تمرّ العقيدة بمرحلة التصوّر والتصديق اللذين هما حقيقتا العلم الكســبيّ

(الحصوليّ) في قبال العلم الحضوريّ، فالإنســان يعلم أوّلًا بالعقيدة في أفق التصوّر عبر الإدراك العقليّ وربما النقليّ أحيانًا، ثمّ يُســلّم ويُذعن بما تصوّره وأثبته العقل أو النقل، ويصطلــح على المرحلة الأولى الّتي تمثّل الجانب المعرفيّ ـ أو قل النظريّ ـ للعقيدة حســب الاصطلاح المعاصر (الرؤية الكونيّة)، وأمّا المرحلة الثانية فهي المصطلح عليها بالإيمان.

ومن الفوارق بين المرحلتين أنّ المرحلة الأولى لا تختصّ بالمؤمن، بل يشترك فيها المؤمن والكافر، فالكافر قد يعرف العقيدة الحقّة من الناحية النظريّة، ولٰكنّه يجحد بها وينكرها لموانع تمنعه، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْــتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [ســورة النمل: 14]، وأيضًا قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَــنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [ســورة الجاثية: 23]، وقال أيضًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ [سورة محمد: 25].

فالعلم قد يجتمع مع الجحود وبالتــالي فإنّه لا يجتمع مع الإقرار والإيمان؛ لأنّ الإقرار والإيمان قد يكون بســبب الدليل الظنّيّ، وبعبارةٍ أخرى أنّ النســبة بين العلم والإيمان هي عمومٌ وخصوصٌ من وجــهٍ، وهٰذا بعكس المرحلة الثانية فإنّها مختصّةٌ بالمؤمن وحسب.

الثالث: ثمّــة مصطلحاتٌ ذات صلةٍ بمصطلح العقيــدة كمصطلح (الملّة) أو (الدين) والنسبة بينهما وبين (العقيدة) هي نسبة العموم والخصوص المطلق.

2. أقسام العقيدة:

تنقسم العقيدة حســب اصطلاحها اللغويّ إلى عقيدةٍ حقّةٍ صحيحةٍ وعقيدةٍ باطلةٍ، ولكلٍّ من القســمين محدّداتٌ ومعايير ليس هنا محلّ بحثها، كما تنقســم العقيــدة من جهةٍ أخرى إلى عقيدةٍ قطعيّةٍ ثابتــةٍ بالدليل القطعيّ، وعقيدةٍ ظنّيّةٍ ثابتةٍ بالدليل الظنّيّ، وثمّة بحثٌ بين المتكلّمين وعلماء العقيدة في اشتراط تحصيل العقيدة الحقّة بالقطع واليقين، أو كفاية الظنّ فيها، كما ثمّة بحثٌ بينهم أيضًا في

اشــتراط تحصيل العقيدة عن طريق الاجتهاد أو كفاية التقليد، وكلّ ذٰلك خارجٌ عن هدف المقال [ظ: الشــهيد الثــاني، حقائق الإيمان، ص 56؛ شــبّر، حق اليقين، ص 571 و575؛ الجرجاني، شرح المواقــف، 8، ص 331]، وإنّما المهمّ عندنا بعد تحصيل العقيدة الصحيحة بيان ضرورة ارتباطها بالســلوك، وعدم كفاية العقيدة لوحدها بمعزلٍ عن الســلوك والعمل الصالح في تحقيق الكمال البــشريّ خلاف ما تذهب إليه العقيدة الإرجائيّة.

3. أقسام السلوك:

ينقسم السلوك البشريّ بلحاظ الوحدة والاجتماع إلى:

أ. السلوك الفرديّ.

ب. السلوك الجمعيّ.

كما ينقسم بلحاظ قوى النفس الّتي يصدر عنها إلى عدّة أقسام:

1. **الســلوك الغريزيّ**: هو الســلوك الصادر عن الإنسان بمقتضى غريزته، كغريزة الأكل والشرب والتناســل وغيرها، ويمارس الإنسان هٰذا السلوك عن طريق القوى الشهويّة المركّبة في وجوده.

2. **الســلوك الاجتماعيّ**: وهو عبارةٌ عن الرابطــة في العلاقات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياســيّة وغيرها ممّا يتواصل به الإنســان مع الآخر البشريّ. ويمارس الإنسان هٰذا السلوك لتنظيم حياته بمقتضى غريزة حبّ البقاء وحفظ النوع عن طريق القوّة العاقلة (عقل المعاش).

3. **الســلوك المعرفيّ والعلميّ**: وهو كســب وتحصيل الإنسان للعلوم الدينيّة والدنيويّة ليعمّر بها حياته الدنيويّة والأخرويّة، ويمارس هٰذا السلوك انطلاقًا من غريزة حبّ العلم من خلال القوّة العاقلة (عقل المعاد وعقل المعاش)(*).

(*) المراد بعقل المعاد القوّة العاقلة المستخدمة في تدبير أمر المعاد والآخرة، والمراد بعقل المعاش القوّة العاقلة المسخدمة لتدبير أمر المعاش في الدنيا. [انظر: المجلسي، بحار الأنوار 1: 161؛ شبر، شرح الزيارة الجامعة: 69]

4. **السلوك العباديّ**: ويمثّل علاقة الإنسان بخالقه سبحانه، ويمارس الإنسان هٰذا السلوك بمقتضى غريزة حبّ العبادة الّتي هي أمرٌ فطريٌّ مركّبٌ في فطرة كلّ إنسانٍ ـ كما تشهد به التجربة البشريّة عبر أجيالها ـ ولٰكنّه قد يخطئ في المعبود من جهة تحديد المصداق.

وتتبلوّر رؤية الإسلام تجاه هٰذه الأنماط الأربعة للسلوك في إخضاعها بتمامها للعقيدة، بحيث تتأطّر هٰذه السلوكيّات بإطار العقيدة الّتي تكون هي المنطلق الحقيقيّ أو قل الحيثيّة التعليليّة لهٰذه الأنماط السلوكيّة، يقول الإمام أمير المؤمنين لكميلٍ: «يا كميل، ما من حركةٍ إلّا وأنت تحتاج فيها إلى معرفةٍ» [الكلينيّ، أصول الكافي، ج 2، ص 310، ح 1431]، ويقول الإمام زين العابدين: «اعلم أنّ لله ـ عزّ وجلّ ـ عليك حقوقًا محيطةً بك في كلّ حركةٍ تحرّكتها، وسكنةٍ سكنتها، أو حالٍ حلتها، أو منزلةٍ نزلتها، أو جارحةٍ قلبتها أو آلةٍ تصرّفت فيها، فأكبر حقٍّ حقوق الله ـ تبارك وتعالى ـ عليك ما أوجب عليك لنفسه من حقه الّذي هو أصل الحقوق» [الصدوق، الخصال، ص 565].

وبما أنّ محور العقيدة الإسلاميّة يقوم على أصل التوحيد، فإنّ السلوك البشريّ في كلّ أنماطه المشار إليها يجب أن يتّصف أو يصطبغ بصبغة التوحيد ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ﴾ [سورة البقرة: 138]، فتكون الصبغة التوحيديّة هي المحور في الاعتقاديّات وفي العمليّات معًا، أي في المنظومتين العقديّة والسلوكيّة، وهٰذه هي أعلى مراتب التوحيد التامّ الكامل (التوحيد الذاتيّ والصفاتيّ والأفعاليّ).

ثانيًا: علاقة العقيدة بالسلوك في المنظور الدينيّ

تتبلور صياغة الشخصية الإسلاميّة من خلال ثلاث مراحل:

1. مرحلة التدبّر والتفكّر وتكوين القناعة بالدين قبل اعتناقه، وقد وردت نصوصٌ قرآنيّةٌ وروائيّةٌ كثيرةٌ تحثّ على التدبّر والتعقّل والتفكّر في الأنفس والآفاق، وهٰذه هي المرحلة الأولى للعقيدة كما تقدّم.

2. مرحلة الاعتقاد والإيمان والجزم، وهٰذه هي المرحلة الثانية للعقيدة.

3. مرحلة العمل والسلوك الصالح المؤكّد، أو المحقّق للإيمان على الخلاف السابق، فالعمل الصالح هو مرآة العقيدة وترجمانها الصادق، وقد تقدّم أنّ البعض يعدّه جزءًا منه.

وقد وردت المرحلتان الثانية والثالثة بشكلٍ متلازمٍ لا ينفكّ في الآيات والروايات، وقد يتجاوز عدد الآيات في ذٰلك الخمسين آية، وأمّا الروايات فهي كثيرةٌ قد تجاوزت حدّ التواتر [الحرّ العاملي، الفصول المهمّة، ص 440]، وهٰذه الآيات والروايات واردةٌ على نحو الكبرى الكلّيّة، ولٰكن هناك نصوصًا أخرى أشارت للتطبيقات والصغريات، وسنذكر نماذج لكلٍّ من الصنفين على نحو الاختصار.

لٰكن ينبغي الإشارة قبل ذٰلك إلى أنّ هٰذا التلازم واضحٌ؛ بناءً على القول بمدخليّة العمل والسلوك في تحقق الإيمان، والاعتقاد بنحو جزء المقتضي، كما هو صريح القول الثاني وظاهر القول الثالث المتقدّمين؛ إذ لو لم يتحقّق العمل فلا يتحقّق الاعتقاد والإيمان من الأساس، وأمّا بناءً على خروجه من حقيقة الإيمان والعقيدة وكونه شرطًا في الكمال ـ كما عليه القول الأوّل ـ فالتلازم ثابتٌ بناءً على القول بكون الإيمان يتّصف بالشدّة والضعف كما هو رأي الإماميّة، خلافًا لبعض علماء الجمهور الّذين قالوا إنّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص [الطباطبائيّ، الميزان، ج 18، ص 260]، ففي صورة الاشتداد يتحقّق التلازم وفي صورة الضعف يتحقّق الانفكاك والتخلّف، كما في سلوك كثيرٍ من العصاة والمنحرفين من المسلمين، مع صحّة عقيدتهم من الناحية النظريّة، لٰكنّها ضعيفةٌ في مرحلة الإذعان والتصديق واليقين؛ ولذا تنتج سلوكًا ضعيفًا، إذ «ليس الإيمان بشيءٍ مجرّد إدراك أنّه حقّ مثلًا، بل مطاوعةٌ وقبولٌ خاصٌّ من النفس بالنسبة إلى ما أدركته يوجب تسليمًا له ولما يقتضيه من الآثار، وآيته مطاوعته لسائر القوى والجوارح وقبولها له كما طاوعته النفس وقبلته، فترى المعتاد(*) يبغض الأعمال المذمومة، وربما يدرك وجه

(*) هو المدمن على تعاطي المخدرات.

القبح أو المساءة فيه، غير أنّه لا يكفّ عنه؛ لأنّ نفسه لا تؤمن به ولا تستسلم له» [المصدر السابق، ج 11، ص 354].

على كلّ حـــالٍ، فأمّا الصنف الأوّل ـ وهو الآيات الواردة على نحو الكبرى ـ فهو من قبيل النصوص التالية:

1. الآيات القرآنيّة:

❁ ﴿وَالّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَـــنُدْخِلُهُمْ جَنَّـــاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [سورة النساء: 122].

❁ ﴿وَبَشِّرِ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الانهارُ﴾ [سورة البقرة: 25].

❁ ﴿إِنَّ الَّذينَ آمَنُـــوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّـــلاَةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون﴾ [سورة البقرة: 277].

وفحـــوى الآيات الكريمة هو التأكيد على الترابـــط الوثيق بين العقيدة والعمل الصالح وترتيب الجزاء الأخرويّ، أي الســـعادة الأبديّـــة على ذٰلك الترابط المفاد بألفـــاظٍ وعباراتٍ مختلفةٍ من قبيل قوله تعالى: ﴿سَـــنُدْخِلُهُمْ جَنَّـــاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾، ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّـــاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَا﴾، ﴿لولٰئِكَ اصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾، ﴿لَهُمْ اجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

إنّ الآيـــات واضحة الدلالة على التـــلازم بين الإيمان والعمـــل الصالح، فإنّ العقيدة بمفردها أو العمل الصالح بمفرده لا يحقّق الســـعادة والفوز الأخرويّ، بل الملاك في السعادة هو حقيقة الإيمان والعمل الصالح معًا [الطباطبائيّ، الميزان، ج 1، ص 216]، وسيتّضح ذٰلك أكثر في البحث الروائيّ، نعم يمكن ـ بناءً على بعض الأقوال المتقدّمة ـ الحكم بإيمان الفرد وإســـلامه في الدنيا بمجرّد إيمانه واعتقاده، وإن لم يقترن بالعمل؛ لترتّب بعض الأحكام الشرعيّة على ذٰلك.

كما لا يقتصر أثر العقيدة في السلوك على السعادة الأخرويّة فقط، بل يعمّ حتّى السعادة الدنيويّة المتمثّلة بتحقيق العدالة الاجتماعيّة وبناء المدينة الفاضلة وتنمية المجتمع البشريّ وتحقيق مكارم الأخلاق وتحكيم المعايير الإنسانيّة فيه، وأدلّ دليلٍ على ذٰلك هو التجربة النبويّة رغم قصر مدّتها، فإنّها استطاعت أن تحدث تحوّلًا عظيمًا في مجتمع الجزيرة وأن تقدّمه أشواطًا كبيرةً، بحيث جعلته في الصدارة من ركب الإنسانيّة بعد أن كان في مؤخّرته، فبنت العقيدة الإسلاميّة لذٰلك المجتمع حضارةً إنسانيّةً لا نقول إنّها تجاري الأمم وحسب، بل وتتقدّم عليها.

وهناك دليلٌ آخر على تأثير العقيدة في السلوك، وهو التجربة الاجتماعيّة للمجتمعات الغربيّة المعاصرة، فإنّ هٰذه المجتمعات بالرغم من التقدّم المادّيّ والتكنولوجيّ الّذي تشهده، بيد أنّها تعاني الكثير من الأزمات على المستوى الروحيّ وعلى مستوى تحقيق السعادة الحقيقيّة؛ وذٰلك نتيجة ضعف عامل العقيدة وضموره في الحياة الفرديّة والأسريّة والاجتماعيّة، ولا شكّ فإنّ لضمور عامل العقيدة تداعياته الخطيرة على المجتمع، هٰذا كلّه في الكبرى.

أمّا الصغرى فهي من قبيل قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الّذي يُكذِبُ بِالدّينِ ۞ فَذٰلك الّذي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۞ وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [سورة الماعون: 1ـ3]، فإنّ العقيدة الفاسدة كالتكذيب بيوم الدين (إنكار المعاد)، تقود إلى السلوك الفاسد، وهو دعّ اليتيم وردّه بعنفٍ وعدم حضّ الغير على إطعام المسكين [الطوسيّ، التبيان ج10، ص 415].

2. الروايات:

لقد بيّنت الروايات أهمّيّة العقيدة والسلوك والترابط بينهما ببياناتٍ عديدةٍ، خصوصًا بعد قولهم إنّ العقيدة هي الإيمان نفسه حسب الاصطلاح الدينيّ، ففي خبرٍ عن رسول اللهـ يؤكّد فيه عدم قبول العقيدة أو العمل منفردين لوحدهما، بل يعدّهما شريكين لا يفترقان، قالـ: «الإيمان والعمل أخوان شريكان في قرنٍ، لا يقبل الله أحدهما إلّا بصاحبه» [ريشهري، ميزان الحكمة، ج1، ص 193]، بل في خبرٍ آخر

عدّ رسـول اللهـ العمل جزءًا من الإيمان وليس قسيمًا له، حيث قال: «الإيمان قولٌ وعملٌ، يزيد وينقص» [المصدر السابق]، ولعلّ هٰذا الخبر أحد الأدّلة على مدخليّة العمل في مقولة الإيمان، وهٰذا ما يؤكّده قوله الآخر: «لُعِنَتِ المرجئة على لسـان سبعين نبيًّا، الّذين يقولون: الإيمان قولٌ بلا عملٍ» [المصدر السابق]، وأوضح من ذٰلك كلّه خبر أبي عمر الزبيريّ، عن أبي عبد الله، قال: «قلت له ألا تخبرني عن الإيمان، أقولٌ هو وعمـلٌ أم قولٌ بلا عملٍ؟ فقال: الإيمان عملٌ كلّـه، والقول بعض ذٰلك العمـل، مفترضٌ من الله مبيّنٌ في كتابه، واضحٌ نوره، ثابتةٌ حجّته، يشـهد له بها الكتاب ويدعـو إليه، ولمّا أن صرف الله نبيّـه إلى الكعبة عن بيت المقدس قال المسلمون للنبيّ: أرأيت صلاتنا الّتي كنّا نصلّي إلى بيت المقدس ما حالنا فيها؟ وما حـال من مضى من أمواتنا وهم يصلّون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة البقرة: 143]، فسمّى الصلاة إيمانًا، فمـن اتّقى الله حافظًا لجوارحه موفيًا كلّ جارحةٍ من جوارحه ممّا فرض الله عليه، لقي الله مستكملًا لإيمانه من أهل الجنة، ومن خان في شيءٍ منها أو تعدّى ما أمر الله فيها لقي الله ناقص الإيمان» [العيّاشيّ، تفسير العياشي، ج1، ص 64].

هٰذه الوفرة الوافرة من الأخبار في التأكيد على الترابط بين الإيمان والعمل لم تأت من فراغٍ، بل هي في مقام الردّ على فكـرةٍ خطيرةٍ كانت في المجتمع آنذاك، ألا وهي فكرة الإرجاء الّتي كانت تستهدف هٰذا الترابط وتعكس مدى خطورة فكر المرجئة على المجتمع الإسـلاميّ، حتّى أنّ بعض الرواة قد اشـتبه عليه الأمر ـ كما في رواية الزبيريّ ـ فسـأل عن الإيمان هل هو قولٌ بـلا عملٍ أو هو مع العمل؛ ممّا يعكس اهتمام المجتمع بهٰـذه الظاهرة الفكريّة الخطيرة، حتّى ورد أنّ المرجئة ملعونون على لسان سبعين نبيًّا قبل الإسـلام، بل في بعض الأخبار وجود فكرة الإرجاء في الأمم السابقة وعلى عهد الأنبياء السابقين أيضًا، وأنّ المرجئة هم يهود هٰذه الأمّة؛ ولذا نجد اهتمـام النبيّ ـ والأئمّـة في التحذير من هٰذه الفكرة الأمويّـة الّتي كان يراد لها نقض الدين من الداخل، بعد أن عجز الخطّ الأمويّ عن الوقوف بوجه الإسـلام في العلن، فقدّم منظومةً عقديّةً وتشريعيّةً مشوّهةً باسم الدين.

السرّ في هٰذا الترابط بين العقيدة والسلوك هو الدور التكامليّ لكلّ منهما بالنسبة للآخر، فإنّ الإنســـان ما لم يمتلك رؤيةً كونيّةً صحيحةً، فإنّه لا يمتلك منظومةً فكريّةً منســـجمةً عن العالم، كما أنّ سلوكه إذا لم يكن مطابقًا لمنظومته الفكريّة الّتي يؤمن بها لوقع في فوضى التناقض في المنظومة الســـلوكيّة، وسيأتي بيان ذٰلك في البحث التالي.

ثالثًا: نوع العلاقة بين العقيدة والسلوك

ثمّـــة علاقةٌ تبادليّةٌ (تخادميّةٌ) بين المنظومتين العقديّة والســـلوكيّة، فالعقيدة من جهة تعتبر العلّة والأســـاس الّذي يقوم عليه بناء السلوك الإنسانيّ بشكل عام، سواء كانت عقيدة صحيحة أو فاســـدة، ولعلّه إلى هٰذه القاعدة العامة يشير قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ [سورة الإسراء: 84]، أي كلٌّ يعمـــل على اقتضاء عقيدته ورؤيته الكونيّة [الطـــبرسيّ، جوامع الجامع، ج2، ص 390]، سواءٌ كانت عقيدته إلٰهيّةً أو وضعيّةً؛ ولذٰلك فإنّ العقيدة هي بمنزلة الحيثيّة التعليليّة الّتي يصدر عنها السلوك الإنسانيّ في فرض المطابقة بينهما، وأمّا في فرض المخالفة فلا ســـنخيّة حينئذٍ، كما لو كانت العقيدة حقّةً وكان الســـلوك ناشئًا من اتّباع الهوى مثلًا.

أدلّ دليـــلٍ على هٰذه العلّيّة والملازمة هو الوجدان المغني عن إقامة البرهان، فإنّا نجد تأثير العقيدة إلى حدّ أنّ الإنسان يفديها بأعزّ الأمور وهي نفسه، حتّى لو كانت عقيدته هي حبّ الوطن مثلًا، أو ربّما كانت عقيدةً فاسدةً، بل ربّما تدعوه العقيدة للإقرار على نفسه والتضحية بحياته الدنيويّة كسبًا للسعادة الأخرويّة كما في قضيّة ماعز الأســـلميّ الّذي أقرّ بالزنا ليرجم(*)، وهٰذه المـــيزة من مختصّات العقيدة، ولا

(*) حاصل القصّة أنّه بعد أن زنى ماعزٌ جاء فأقرّ بذنبه بين يدي النبيّ ﷺ، فأعرض عنه فجاء من شقّه الآخر، فأعرض عنه، وهٰكذا أربع مرّاتٍ فأمر به، فأخرج إلى الحرّة فرجم. [البيهقيّ، السنن الكبرى، ج 8، ص 227]

نجدها في القوانين الوضعيّة؛ فإنّ القوانين الوضعيّة لا تحمل الإنسان على التضحية بالنفس أو المال وإنّما تحمله على الالتزام القهريّ بالقانون، والفرق هو أنّ العقيدة تنبع من الداخل وتمتزج بعقل الإنسان وضميره وعواطفه ومشاعره، فلذا تتحكّم بالتصرّفات الظاهرة والباطنة للإنسان، كما أنّ لها سلطانًا دنيويًّا وأخرويًّا؛ ولذا إذا صلحت العقيدة عمر الظاهر والباطن معًا وتحقّقت السعادة الدنيويّة والأخرويّة معًا، والحال أنّ القانون سلطانه دنيويٌّ، ويصلح الظاهر فقط.

وممّا يدلّ أيضًا على هٰذا الترابط والتلازم بين المنظومتين هو ما نراه من انقلاب السلوك الجاهليّ لدى المشركين قبل البعثة إلى سلوكٍ توحيديٍّ قائم على معايير الدين، كالأمانة والصدق والعدل والوفاء والأخوّة وغيرها من القيم الإنسانيّة الرفيعة، وما ذٰلك إلّا لتبدّل القاعدة المعرفيّة الّتي يقوم عليها السلوكان، وممّا يدعم ويؤكّد هٰذا الترابط ـ أيضًا ـ أنّ الارتداد عن الدين وعن التوحيد يقتضي بطبعه التخلّي عن السلوك التوحيديّ والرجوع الى السلوك الجاهليّ، وما ذٰلك إلّا لتبدّل القاعدة المعرفيّة عند الشخص الواحد قبل التديّن وبعده، كما يدلّ على هٰذا الترابط من القرآن الكريم أيضًا قوله ـ تعالى ـ في النهي عن أكل الربا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة البقرة: 278].

وهٰذه العلّيّة والمعلوليّة لا تعني انتفاء دور السلوك في التأثير المتقابل على العقيدة وترسيخها، فالسلوك ـ وإن كان معلولًا للعقيدة، وليس له دورٌ في حدوثها ووجودها كما يقتضيه قانون العلّيّة ـ يعدّ مؤثّرًا في بقائها وقوّتها وترسيخها، ولعلّ هٰذا هو السرّ في اقتران العمل الصالح في آيٍ كثيرةٍ من القرآن الكريم بالإيمان والاعتقاد، إذ اقترن الإيمان بالعمل الصالح في نحو خمسين آيةً كما تقدّم، وأصرح منه في الدلالة على تأثير السلوك في العقيدة قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [سورة فاطر: 10]، فدور العمل الصالح هو رفع الكلم الطيّب وتعضيده، يقول بعض المفسرين: «والمراد بالكلم ما يفيد معنًى تامًّا كلاميًّا، ويشهد به توصيفه بالطيّب، فطيّب الكلام هو ملاءمته لنفس سامعه ومتكلّمه، بحيث تنبسط منه وتستلذّه وتستكمل

به، وذٰلك إنّما يكون بإفادته معنًى حقًّا فيه سعادة النفس وفلاحها، وبذٰلك يظهر أنّ المراد به ليس مجرّد اللفظ، بل بما أنّ له معنًى طيّبًا، فالمراد به الاعتقاد ات الحقّة الّتي يسعد الإنسان بالإذعان لها، وبناء عمله عليها، والمتيقّن منها كلمة التوحيد الّتي يرجع إليها سائر الاعتقادات الحقّة» [الطباطبائيّ، الميزان، ج 17، ص 23]، فالكلم الطيّب هو الاعتقاد الحقّ، والعمل الّذي يناسبه هو الّذي يرفع الإنسان ويمدّ في تكامله، وكلّما تكرّر العمل زاد الاعتقاد رسوخًا وجلاءً وقوي في تأثيره، فقوّة الإيمان بمزاولة الطاعات وضعفه بارتكاب المعاصي؛ ولذا ربّما يؤدّي الانحراف السلوكيّ والعمل بالمعاصي وسوء العمل إلى الانحراف العقديّ والتكذيب بآيات الله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ اسَاءُوا السُّوأى انْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُون﴾ [سورة الروم: 10؛ انظر: الطباطبائيّ، الميزان، ج 1، ص 190؛ و ج 9، ص 350؛ الخمينيّ، تفسير القرآن الكريم ج 5، ص 56].

والعلاقة بين هاتين المنظومتين هي إمّا علاقةٌ تكامليّةٌ تصاعديّةٌ، وإمّا علاقةٌ تنازليّةٌ انحطاطيّةٌ، تبعًا لصحّة العقيدة وفسادها أو ضعفها وقوّتها، فالمنظومة العقديّة الحقّة إذا التزمنا بمؤدّاها تؤدّي بطبيعة الحال إلى السلوك التوحيديّ الحقّ؛ لأنّ العقيدة تنعكس على الجوارح فتأخذ كلّ جارحةٍ حظّها من العقيدة والإيمان، فمثلًا عقيدة التوحيد الأفعاليّ تؤثّر إيجابيًّا على جزئيّات سلوك الإنسان في التعامل مع الأسباب (البعيدة والمتوسّطة) وعدم الاعتماد عليها، وإنّما يكون الاعتماد على مسبّب الأسباب والمبدإ الأعلى، بعكس الإنسان الفاقد للتوحيد الأفعاليّ فإنّ سلوكه يختلف تمامًا عن الإنسان الأوّل، وفي المقابل فإنّ المنظومة السلوكيّة الصحيحة تؤدّي إلى تقوية الإيمان والعقيدة، جاء في تفسير العياشي: «فمن اتّقى الله حافظًا لجوارحه موفيًا كلّ جارحةٍ من جوارحه ممّا فرض الله عليه، لقي الله مستكملًا لإيمانه من أهل الجنّة، ومن خان في شيءٍ منها أو تعدّى ما أمر الله فيها لقي الله ناقص الإيمان» [العيّاشيّ، تفسير العيّاشيّ، ج 1، ص 64]، وبكلا الأمرين يحصل الكمال الإنسانيّ.

كما أنّ فساد العقيدة يؤدّي إلى انحراف السلوك كما هو واضحٌ في عقيدة الشرك الفاسدة فسادًا كلّيًّا، وكذلك الأمر في العقائد الفاسدة فسادًا جزئيًّا، وفيما يلي بعض النماذج التطبيقيّة لذلك:

الأوّل: عقيدة الإرجاء الّتي تعني الاكتفاء بالإيمان القوليّ، وإن ارتكب الإنسان ما ارتكب فإن أمره مرجأٌ إلى ربّه في الآخرة، ممّا يبرّر للإنسان الانحراف السلوكيّ في الدنيا، وسيأتي تفصيل الكلام في هذه العقيدة.

الثاني: عقيدة الجبر الّتي تعني صدور الفعل من الإنسان قهرًا وجبرًا عليه، ولازم هذا إعفاء الإنسان من المسؤوليّة والعقوبة، ممّا يخلق مبرّرًا للانحراف السلوكيّ تحت ذريعة أنّ هذا فعل الله، وإنّما ينسب للإنسان مجازًا، وقد كانت طبقةٌ من المجتمع فيما مضى تعمل بهذا المبدإ الفاسد، فقد كتب ابن عبّاسٍ إلى قرّاء المجبرة بالشام: «أمّا بعد، أتأمرون الناس بالتقوى وبكم ضلّ المتّقون، وتنهون الناس عن المعاصي وبكم ظهر العاصون؟!» [سبحانيّ، الإلهيّات، ج 2، ص 163].

الثالث: عقيدة القضاء والقدر بناءً على تأويلهما تأويلًا خاطئًا يبرّئ ساحة الإنسان من الفعل القبيح ويجعله مقدّرًا عليه، فقد حذّر النبيّ من خطر هذا التأويل فقال: «سيأتي زمانٌ على أمّتي يؤوّلون المعاصي بالقضاء، أولئك بريئون منّي وأنا منهم براءٌ» [العامليّ البيّاضيّ، الصراط المستقيم، ص 32].

وقد دار حوارٌ بين الإمام الكاظم والنعمان أبي حنيفة حيث قال للإمام: «مِمَّنِ المعصية؟ قال: يا شيخ لا تخلو من ثلاثٍ: إمّا أن تكون من الله وليس من العبد شيءٌ فليس للحكيم أن يأخذ عبده بما لم يفعله، وإمّا أن تكون من العبد ومن الله والله أقوى الشريكين فليس للشريك الأكبر أن يأخذ الشريك الأصغر بذنبه، وإمّا أن تكون من العبد وليس من الله شيءٌ، فإن شاء عفا وإن شاء عاقب» [المجلسيّ، بحار الأنوار، ج 5، ص 27].

الرابع: تفسير الشفاعة تفسيرًا خاطئًا يؤدّي إلى الاتّكاليّة في العمل والانحراف في السلوك.

الخامس: تفسير ولاية أهل البيت ومحبّتهم تفسيرًا يؤدّي إلى الاتّكاليّة في العمل والانحراف في السلوك.

وعلى كلّ حالٍ وردت الإشارة إلى هٰذه العلاقة التبادليّة بين العقيدة والسلوك في الأحاديث الشريفة، فعن الإمام الصادق قال: «لا يقبل الله عملًا إلّا بمعرفةٍ، ولا معرفةً إلّا بعملٍ، فمن عرف دلّته المعرفة على العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له». ثمّ قال: «ألا إنّ الإيمان بعضه من بعضٍ» [الكليني، الكافي، ج1، ص 44]. فعدّ العمل جزءًا من الإيمان، وقد تقدّم في تعريف الإيمان أنّ بعض متكلّمينا من يرى ذٰلك، ولا يكتفي في الإيمان بالإقرار القلبيّ فقط.

كما أشار العلّامة الطباطبائيّ إلى هٰذه العلاقة التبادليّة بقوله: «إنّ الاعتقاد والإيمان إذا كان حقّ الاعتقاد صادقًا إلى نفسه صدّقه العمل ولم يكذبه، أي يصدر عنه العمل على طبقه، فالعمل من فروع العلم وآثاره الّتي لا تنفكّ عنه، وكلّما تكرّر العمل زاد الاعتقاد رسوخًا وجلاءً، وقوي في تأثيره» [الطباطبائيّ، الميزان، ج 17، ص 23]، بل يمكن القول إنّ تأثير حقيقة العقيدة لا يقتصر على السلوك التكوينيّ لدى الإنسان خاصّةً، بل يصل أحيانًا في تأثيره إلى النظام الكونيّ العامّ، وهٰذا ما يمكن فهم أبعاده من خلال الرواية التالية عن الإمام الصادق: «سئل: لم سمّي الكعبة كعبةً؟ قال: لأنّها مربّعةٌ، فقيل: ولم صارت مربّعةً؟ قال: لأنّها بحذاء البيت المعمور وهو مربّعٌ، فقيل له: ولم صار البيت المعمور مربّعًا؟ قال: لأنّه بحذاء العرش وهو مربّعٌ، فقيل: ولم صار العرش مربّعًا ؟ قال: لأنّ الكلمات الّتي بني عليها الإسلام أربعٌ: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلّا الله، والله أكبر، وهٰذه الكلمات الأربع أولاها تتضمّن التنزيه والتقديس، والثانية التشبيه والثناء، والثالثة التوحيد الجامع بين التنزيه والتشبيه، والرابعة التوحيد الأعظم المختصّ بالإسلام» [الصدوق، علل الشرائع، ج 2، ص 398]، ويمكننا أن نفهم هٰذا التأثير أكثر فيما لو أخذنا بنظر الاعتبار كون الكعبة تمثّل نقطة المركز في الكرة الأرضيّة على وجه الدقّة [حسين كمال الدين أحمد، إسقاط الكرة الأرضيّة بالنسبة لمكّة المكرّمة، مجلّة البحوث

الإســلامية، ع 2، ص292 ؛ مجلّة البحوث الإسلاميّة، ع 6، ص 225]، فكأنّ الكرة الأرضيّة كلّها قائمةٌ على نظام التوحيد.

رابعًا: جدليّة العقيدة والسلوك في الفكر الكلاميّ

بالرغم من التلازم الواضح الّذي يطرحه القــرآن الكريم بين العقيدة والعمل الصالــح، بيد أنّه قد أثيرت إشــكاليّة العلاقة بينهما على بســاط البحث الكلاميّ والجدل العقديّ في مسألة مرتكب الكبيرة، فقد وقعت المسألة بين إفراطٍ وتفريطٍ من أقصى اليمين إلى أقصى الشمال، فبين قائلٍ بأنّ ارتكاب الكبيرة يُخرِج الإنسان من الإيمان إلى حدّ الكفر، كما عليه بعض فرق الخوارج، وبين قائلٍ بأنّ الإنسان مهمــا ارتكب من الكبائر والموبقات فذٰلك لا يــضرّ بإيمانه وعقيدته، كما عليه الكراميّة وبعض المرجئــة، وبين قائلٍ بأنّ مرتكب الكبــيرة لا مؤمنٌ ولا كافرٌ، بل منزلةٌ بين منزلتين، كما عليــه المعتزلة. [ظ: المفيد، أوائل المقالات، ص 15؛ الطوسيّ، الاقتصاد، ص140]

ولعلّ الأخطر من هٰذه الاتّجاهات الفكريّة هو ما ذهبت إليه المرجئة؛ لأنّ من شأنه سياســيًّا أن يبرّر للحكّام ظلمهم وجورهم من جهةٍ، ومن شأنه اجتماعيًّا أن يشيع في المجتمع الإســلاميّ التفكّك الخلقيّ والانحراف السلوكيّ من جهةٍ أخرى، فالمرجئة ـ سواءٌ أقلنا إنّها مذهبٌ سياسيٌّ أُلبس لباس العقيدة، أو قلنا إنّه مذهبٌ عقديٌّ وظّفت أفكاره لصالح السياسة ـ يدعون إلى انفصال العقيدة عن السلوك، والأصل عندهم كفاية الإيمان والاعتقاد بالشــهادتين مهما انحرف الإنســان في ســلوكه، فهم يذهبــون إلى أنّ «الإيمان قولٌ بلا عملٍ، وأصل مــا هم عليه أنّهم يدينــون بأنّ أحدهم لو ذبح أباه وأمّه وابنه وبنته وأخاه واخته وأحرقهم بالنار، أو زنى أو سرق أو قتــل النفس الّتي حــرم الله أو أحرق المصاحف أو هدم الكعبة أو نبــش القبور أو أتى أيّ كبيرةٍ نهى الله عنها، فإن ذٰلك لا يفســد عليه إيمانه ولا يخرجه منه، وأنّه إذا أقرّ بلسانه بالشهادتين فهو مستكمل الإيمان، إيمانه كإيمان جبريل وميكال ، فعــل ما فعل وارتكب ما ارتكب ممّــا نهى الله، ويحتجّون

بأنّ النبيّ قال: أمرنا أن نقاتل الناس حتّى يقولوا: لا إله إلّا الله» [النيسابوريّ، الإيضاح، ص 45]، وهٰذه هي المسألة المعروفة بكون مرتكب الكبيرة كافرًا أو لا، ولا شكّ في خطورة هٰذا الفكرة من جهتين:

الأولى: أنّها تبرّر الانحراف وتشرعنه باسم الدين، كما شرعن آل أميّة للظلم باسم الدين في نظريّة حرمة الخروج على الجائر الّتي أوجدت حصانةً للجائرين من الخروج والثورة عليهم لمدّةٍ طويلةٍ تجاوزت الألف عامٍ، حيث خدّروا الأمّة وشلّوا حركتها وتقدّمها بهٰذه النظريّة، حتّى وصلت الأمّة إلى ما وصلت إليه اليوم من التخلّف والارتكاس.

الثانية: خطورة المنهج الّذي يقوم عليه استدلالهم، ألا وهو منهج الاجتهاد الاجتزائيّ والانتقائيّ الّذي يقوم على انتقاء بعض الأدلّة لإنتاج نظريّةٍ بهٰذا المستوى من الخطورة، كلّ ذٰلك تحت مقولة الاجتهاد، الّتي هي الأخرى أخطر نظريّةٍ عرفها الفكر الإسلاميّ على الإطلاق؛ لأنّها الآليّة الوحيدة الّتي اعتمدوها لتمزيق الدين وتفتيت الأمّة باسم الدين واسم شرعيّة الاجتهاد، ولا زالت الأمّة تدفع ثمن هٰذه النظريّة القاتلة باختلافها وحروبها الطائفيّة المقيتة.

أجل، إنّ الدليل الوحيد الّذي استندت إليه المرجئة هو قول الرسول: «أمرنا أن نقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلّا الله»، غاضّين الطرف عن سائر النصوص الأخرى الواردة عنه الّتي تؤكّد أنّ الإيمان هو «معرفةٌ بالقلب وإقرارٌ باللسان وعملٌ بالأركان» [المتّقي الهنديّ، كنز العمال، ج1، ص 273، ح1361]، وأنّه «بني الإسلام على خمسٍ: شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّدًا عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحجّ البيت، وصوم رمضان» [النيسابوريّ، صحيح مسلمٍ، ج1، ص 34].

مضافًا إلى أنّ هٰذا الحديث الّذي تمسّكوا به ـ وهو واردٌ من غير طرقنا ـ مخالفٌ لصريح الكتاب الّذي يؤكّد أن لا إكراه في الدين، فالنبي دعا الناس إلى أن يقولوا لا إله إلّا الله، لا أن يقاتلهم على قول ذٰلك إكراهًا، وإنّما هم الّذين قاتلوه لمنع هٰذه الدعوة.

من جهةٍ أخرى فإنّ الإرجاء مخالفٌ للقرآن الكريم الّذي يقسّم الناس إلى ثلاثة أصنافٍ: كافرٍ ومؤمنٍ ومنافقٍ، فطبقًا للإرجاء يكون التقسيم ثنائيًّا إلى: مؤمنٍ وكافرٍ؛ لأنّ المنافق عندهم مؤمنٌ في الدنيا، مرجأٌ أمره إلى الله في الآخرة.

على كلّ حالٍ، فالاجتهاد المجتزأ القائم على الانتقائيّة في التعامل مع الأدلّة، وكذٰلك الاجتهاد الإقصائيّ الّذي يقصي سائر الأدلّة الأخرى هما من أخطر المقولات الّتي تعرض لها الفكر الإسلاميّ، والّتي نقضت الإسلام عروةً عروةً باسم الدين، حتّى لبس الإسلام لبس الفرو مقلوبًا، كما قال سيّد العترة أمير المؤمنين [الرضيّ، نهج البلاغة، الخطبة 108].

خامسًا: انعكاسات الفكر الإرجائيّ في عصرنا

بالرغم من انقراض المرجئة كفرقةٍ كلاميّةٍ، بل انقراض الفكر الإرجائيّ بشكلٍ عامٍّ، نرى ثمّة أفكارًا تنتشر في عصرنا بين فترةٍ وأخرى في قطّاعاتٍ من مجتمعاتنا تحمل بصمات الفكر الإرجائيّ وامتداداته الّتي تفصل بين العقيدة والسلوك، كالأفكار الّتي تشيع بين فئات الشباب ذكورًا وإناثًا ـ سيّما في الأوساط الدراسيّة والجامعيّة والمجتمعات المنفتحة ـ تدعو إلى عدم ضرورة الالتزام بالتكاليف الدينيّة، وإلى التفلّت من الالتزام بشيءٍ من الواجبات أو المحرّمات، تحت ذريعة أنّ صفاء القلب ونقاءه يغني الإنسان عن العمل بالتكاليف؛ أو ما تدعو إليه بعض الفرق الصوفيّة الّتي تذهب إلى أنّ من بلغ مرحلة اليقين سقط عنه التكليف استنادًا إلى قوله تعالى: ﴿ ﴾ [سورة الحجر: 99]، بمعنى اكتفاء الإنسان بالإيمان وسقوط التكاليف عنه، فهٰذه كلّها مقولاتٌ منحرفةٌ تلتقي مع المرجئة في ما يدعون إليه من التفكيك بين العقيدة والسلوك، وهي مردودةٌ بالآيات والروايات السابقة المؤكّدة على ضرورة التلازم بين العقيدة والسلوك، يضاف إلى ذٰلك أنّه لو كان الاعتقاد كافيًا أو نزاهة الباطن والقلب مغنيًا، لاكتفى النبيّ والأئمّة الطاهرون من بعده بالاعتقاد دون العمل، مع أنّ سيرتهم قائمةٌ على العمل، بل وعلى الاجتهاد في العمل والعبادة، بل نجدهم يعتذرون لله ـ

تعالى ـ من التقصير في العمل، كما يقول سيّد الموحّدين في دعاء كميلٍ: «وقصرت بي أعمالي»، أو قول الرسول الأعظم: «ما عبدناك حقّ عبادتك» [المجلسيّ، بحار الأنوار، ج 68، ص 23].

لقد استهدفت المرجئة السلفيّة الّتي أنتجتها يد السياسة الأمويّة سلوك المجتمع الإسلاميّ سابقًا في طبقته الحاكمة والمحكومة معًا؛ ليفعلوا ما يفعلوا تحت عباءة الدين والاكتفاء بالشهادتين، واليوم تدعو المرجئة المعاصرة الّتي أنتجتها يد الثقافة الغربيّة الشباب إلى التحلّل والتخلّي عن الأخلاق والقيم والسلوك النزيه، وإن لم تدعهم إلى الكفر الصريح، بحيث تتحوّل الشخصيّة الإسلاميّة إلى شخصيّةٍ خاويةٍ ومفرغةٍ من الداخل، ومتناقضةٍ في معتقداتها وسلوكيّاتها، فتكون شخصيّةً مركّبةً من خليطٍ غير متجانسٍ من الاعتقادات والسلوكيّات المتضادّة فيما بينها، بحيث يفقد الإيمان والاعتقاد معناهما.

سادسًا: أثر العقيدة والسلوك الصحيحين في التكامل المعنويّ

تلعب العقيدة والسلوك دورًا أساسيًّا في التكامل الروحيّ والتقدم المعنويّ للإنسان، فهما جناحان يحلّق بهما نحو مراتب الكمال، فالعقيدة الصحيحة يمكن أن تغيّر مجرى حياة الإنسان بأكمله، وترفعه من حضيض المادّيّة إلى قمّة السموّ المعنويّ، كما حصل ذٰلك للسحرة من قوم فرعون، الّذين لم يكن مطمح نظرهم قبل هدايتهم يرتقي إلى أكثر من الحصول على مصالحهم المادّيّة والأجر الدنيويّ: ﴿[illegible]﴾ [سورة الأعراف: 113]، لٰكنّهم بعد أن أدركوا الحقيقة واستوعبوا العقيدة الحقّة تغيّرت رؤيتهم الكونيّة للحياة، وعرفوا أنّ ثمة شيئًا آخر هو أرقى من الأجر المادّيّ الّذي طلبوه من فرعون، بحيث استرخصوا معه الموت واستهزؤوا بفرعون وتهديده: ﴿[illegible]﴾ [سورة طه: 72].

فكلّما كانت العقيدة صحيحةً نقيّةً من الأباطيل والانحرافات، كان الإنسان أقرب

إلى الكمال والتكامل، ســـواءٌ كان ذٰلك في أساســـيّات العقيدة أو في تفاصيلها، ومن هنا ورد التحذير من أنّ العامل على غير بصيرةٍ لا يزيده عمله إلّا بعدًا، الأمر الّذي يعكس أهمّيّة ســـلامة العقيدة والبصيرة في مسيرة الإنســـان التكامليّة؛ وذٰلك لأنّ العقيدة بمنزلة خارطة الطريق الّتي يسير الإنسان على ضوئها وعلى هديها، فإذا كانت قويمةً بلغت به الغاية والمقصود، وإذا كانت على خلاف ذٰلك لم يزده الســـير عليها ـ مهمـــا كان المرء مجتهـــدًا في مقام الطاعة والعبـــادة ـ إلّا بعـــدًا وشـــططًا: ﴿[illegible]﴾ [ســـورة الجـنّ: 16] ؛ ولذا كان الأجـــلّاء مـــن أصحـــاب الأئمّـــة يعرضون عقيدتهم ودينهم على الأئمّة للتأكّد من سلامة المعتقد.

ولا شـــكّ أنّ أمر العقيدة مقدّمٌ على السلوك؛ لأنّ العقيدة هي الأساس وحجر الزاويـــة، فقد ورد في الخبر الّذي رفعه ابن أبي عميرٍ عـــن أحد الأئمّة : «بعضكم أكـــثر صلاةً من بعضٍ، وبعضكم أكثر حجًّا من بعضٍ، وبعضكم أكثر صدقةً من بعضٍ، وبعضكم أكثر صيامًا من بعضٍ، أفضلكم إيمانًا أفضلكم معرفةً» [المجلسيّ، بحار الأنوار، ج 14، ص ح 38].

هٰذا كلّه من جهة العقيدة، كما أنّ لصلاح الســـلوك في المقابل الأثر البالغ في تكامل الإنســـان ورقيّه المعنويّ، فصياغة الشخصيّة الإسلاميّة إنّما تتمّ بالتطابق التامّ بين الســـلوك والعقيدة، فقد يحرم الإنســـان من كثيرٍ من المقامات والمراتب بســـبب القصور في العمل، وإن صحّت عقيدتـــه؛ لأنّ مقام العمل مقامٌ آخر غير مقام العقيدة، فلكلٍّ مـــن هذين المقامين دوره وفاعليّته واقتضاؤه الخاصّ به الّذي لا يقوم مقامه الآخر، فمثـــلًا من يتهاون بالصلاة أو يؤخّرها عن وقتها أو لا يؤدّها في جماعةٍ ولا في مســـجدٍ، يكن محرومًا من كثـــيرٍ من الفيوضات والمقامات، وإن كانت عقيدته صحيحـــةً من الناحية النظريّة، بل ربّما يـــترك ضعف العمل أثرًا سلبيًّا على عقيدته أيضًا، إذ تتحوّل عقيدته بذٰلك المقدار الّذي فاته من العمل إلى عقيـــدةٍ لا أثر لهـــا ولا فاعليّة، كما تقـــدّم في حديث الإمام الصـــادق: «ومن لم يعمل فلا معرفـــة له، ألا إنّ الإيمان بعضه من بعضٍ» [الكلينيّ، الكافي، ج 1، ص 44]،

وحينئذٍ تتحوّل العقيدة ـ أحيانًا ـ مـــع ضعف العمل إلى مجرّد معلوماتٍ محفوظةٍ على غرار علم الإنسان ـ مثلًا ـ بوجود كوكب المرّيخ أو غيره من الكواكب؛ لهٰذا كان الأئمّة يوصون أتباعهم بأمرين مهمّين:

1. حفظ هويّتهم العقديّة من التشويه والتحريف والتزوير الوافد إليهم من التيّارات المنحرفة والضالّة الّتي كانت تكيد بهم.

2. حفظ ســـلوكهم من الانحراف والتناقض مـــع العقيدة، وذٰلك بأن يكون ســـلوكهم منســـجمًا معها؛ ولهٰذا كانوا يرفعون من سقف المطالبة لأصحابهم في مجال الســـلوك إلى أعلى المستويات، فلا يكتفون منهم بالعبادة والطاعة لله تعالى فحسب، بل كانوا يحثّونهم على تحصيل (الاجتهاد في العبادة) و (الورع في العبادة).

وربّما كانوا يصارحون أتباعهم في تصحيح سلوكيّاتهم ويفنّدون بعض مزاعمهم الّتي كانوا يزعمونها لأنفســـهم، مثل دعوى (الشـــيعة والتشـــيّع)، فينهونهم من التســـمّي بذٰلك نتيجة ما يلاحظونه من ضعفٍ في الســـلوك وقصـــورٍ في العمل، وكانوا يعلّلون ذٰلك ـ كما ســـيأتي ـ بأنّ (التشـــيّع مرتبةٌ شريفةٌ) لا يليق بها مثل هٰذا السلوك الّذي عليه أتباعهم، فالتشيّع عندهم ـ وكما هو معناه اللغويّ أيضًا ـ هو المشـــايعة والمتابعة في العمل؛ ولذٰلك فإنّ الأئمّة كانـــوا دقيقين في التوصيف وفي استعمال العناوين وإطلاقها غاية الدقّة؛ لذا كانوا ينصحون أتباعهم أن يتسمّوا بالمحبّين دون الشـــيعة، وقد ورد هٰذا التأكيد على لسان بعض الأئمّة كما سيأتي، وهٰذه إشـــكاليّةٌ كبيرةٌ في واقعنا الشيعيّ، سواءٌ الماضي منه أو المعاصر، إذ كان لهٰذه الإشـــكاليّة الأثر الكبير في عدم نجاح تجربة الأئمّة ؛ نتيجة عـــدم توفّر القاعدة الجماهيريّة الصالحة لإنجاح مشروعهم الإلٰهيّ، كما تعدّ هٰذه الإشـــكاليّة اليوم من أهـــمّ العوامل في تأخير مشروع الظهور في عصر الغيبة، وفيما يلي بعض النصوص الواردة عن أهل البيت في هٰذا المجال:

1. قال رجلٌ لرســـول اللهﷺ: «يا رســـول الله، فلانٌ ينظر إلى حرم

جاره، فإن أمكنــه مواقعة حرامٍ لم يرع عنه، فغضب رســول اللهـ وقال: ائتوني به، فقال رجلٌ آخر: يا رســول الله، إنّه من شيعتكم ممّن يعتقد موالاتك وموالاة عليٍّ، ويبرأ من أعدائكما، فقال رســولـ: لا تقل إنّه من شيعتنا، فإنّه كذبٌ، إنّ شيعتنا من شيّعنا وتبعنا في أعمالنا، وليس هٰذا الّذي ذكرته في هٰذا الرجل من أعمالنا» [المجلسيّ، بحار الأنوار، ج 65، ص 155]. ومن المعلــوم أن لا خصوصيّة للنظر كمعصيةٍ، فيعمّ الأمر كلّ مخالفةٍ.

2. قال رجل لامرأته: «اذهبي إلى فاطمة بنت رســول الله فاسأليها عنّي، من شــيعتكم أم ليس من شيعتكم؟ فسألتها فقالت قولي له: إن كنت تعمل بما أمرناك، وتنتهي عمّا زجرناك عنه، فأنت من شــيعتنا وإلّا فــلا، فرجعت فأخبرته، فقال: يا ويلي! ومــن ينفكّ عن الذنوب والخطايا؟! فأنا إذن خالدٌ في النار، فإنّ من ليس من شيعتهم فهو خالدٌ في النار، فرجعت المرأة فقالت لفاطمة ما قال زوجها، فقالت فاطمة: قولي له: ليس هٰكذا، شيعتنا من خيار أهل الجنّة، وكلّ محبّينا وموالي أوليائنا ومعادي أعدائنا والمسلّم بقلبه ولسانه لنا ليسوا من شيعتنا إذا خالفوا أوامرنا ونواهينا في ســائر الموبقات، وهم مع ذٰلك في الجنّة، ولٰكن بعد ما يطهرون من ذنوبهم بالبلايــا والرزايا أو في عرصات القيامة بأنواع شــدائدها، أو في الطبق الأعلى من جهنّم بعذابها، إلى أن نســتنقذهم بحبّنا منها وننقلهم إلى حضرتنا» [المصدر السابق].

3. وعن الأصبــغ بن نباتــة قال: «خــرج عليٌّ ذات يــومٍ ونحن مجتمعون فقال: من أنتم وما اجتماعكم؟ فقلنا: قومٌ من شيعتك يا أمير المؤمنين، فقال: مالي لا أرى سيماء الشيعة عليكم؟ فقلنا: وما سيماء الشــيعة؟ فقال: صفر الوجوه من صلاة الليل، عمش العيون من مخافة الله، ذبل الشــفاه من الصيام، عليهم غبرة الخاشــعين» [المصدر السابق:

151]. وقال أيضًا في وصف شيعته: «شيعتنا رعاة الشمس والقمر ـ يعني التحفّظ من مواقيت الصلاة ـ شـــيعتنا ذبلٌ شفاههم، خمصٌ بطونهم، تعرف الرهبانيّة في وجوههم» [النوريّ، مستدرك الوسائل، ج 1، ص 128].

4. وقـــال رجل للحســـن: «إنّي من شـــيعتكم، فقال الحســـن بن عـــليٍّ: يـــا عبد الله: إن كنت لنـــا في أوامرنا وزواجرنـــا مطيعًا فقد صدقت، وإن كنـــت بخلاف ذٰلك فلا تزد في ذنوبـــك بدعواك مرتبةً شريفةً لست من أهلها، لا تقل لنا: أنا من شيعتكم، ولٰكن قل أنا من مواليكم ومحبّيكم ومعادي أعدائكم، وأنت في خيرٍ وإلى خيرٍ» [المجلسيّ، بحار الأنوار، ج 65، ص 156].

5. وعـــن أبي عبد الله قال: «كان عليّ بن الحســـين قاعدًا في بيته، إذ قرع قومٌ عليه الباب فقـــال: يا جارية انظري من في الباب، فقالوا: قومٌ من شيعتك، فوثب عجلان حتّى كاد أن يقع، فلمّا فتح الباب ونظر إليهم رجع وقال: كذبوا، فأين الســـمت ـ أي استقامة الطريقة والهيئة ـ في الوجوه؟ أين أثر العبادة؟ أين ســـيماء السجود؟ إنّما شيعتنا يعرفون بعبادتهم وشعثهم، قد قرحت العبادة الآناف، ودثرت الجباه والمساجد» [النوريّ، مستدرك الوسائل، ج 4، ص 468].

والنقطة المشتركة في هٰذه الأحاديث أمران، الأوّل التركيز على السلوك والعمل، والثاني التفكيـــك بين عنوان (الشـــيعيّ) وعنوان (المحبّ أو المـــوالي)، فالأئمّة كانوا دقيقين كثيرًا في إطلاق وصف التشـــيّع، ولا يســـمحون بإطلاقه جزافًا، أو التسامح في استعماله؛ وذٰلك حفاظًا على المراتب من جهةٍ، وارتقاءً بسلوك أتباعهم إلى تلك المرتبة من التشـــيّع من جهةٍ أخرى، وبالطبع فإنّه لا ينحصر خطابهم هٰذا بالمشافهين في عصرهم، بل يشمل غير المشافهين أيضًا، ولم يكن الغرض من إيراد هٰذه الأحاديث والأخبار زرع اليأس في النفـــوس، بل للحثّ على الارتقاء بها إلى حيث يريد منا أهل البيت من بلوغ المراتب العالية.

من هنا يمكن توصيف موقــف الأمّة تجاه أهل البيت بأنّه عانى ولا زال يعاني من إشكاليّتين: الأولى إشــكاليّةٌ عقديّةٌ، إذ أنكر شطرٌ من الأمّة القول بإمامتهم، والثانية إشكاليّةٌ عمليّةٌ ترجع إلى أتباعهم في مقام العمل والطاعة والاتّباع، وهٰذا هو الّذي أشارت له الأحاديث السابقة.

الخاتمة:

نختم بذكر أهمّ نتائج البحث السابقة:

1. اتّضح ممّا ســبق مدى الترابط الوثيق بــين المنظومة العقديّة والمنظومة السلوكيّة في الإسلام، وتأثيرهما المتقابل في تكوين شخصيّة الإنسان المسلم وشخصية المجتمع المسلم في آنٍ واحدٍ، إلّا أنّ التحدّيات الثقافيّة المعــاصرة تحاول اخــتراق هاتين المنظومتــين أوّلًا، ومن ثمّ تغييرهما بشــكلٍ كاملٍ ثانيًا، وذٰلك عبر أدوات الحرب الناعمة؛ الأمر الّذي يســتدعي يقظةً أكثر ترتقي إلى مستوى التحدّي من قبل الجهات المعنيّة بالشــأن الدينيّ والتربويّ والاجتماعيّ، وعلى رأســها المؤسّســة الدينيّة، وندعوها لتحمّل مسؤوليّاتها في هٰذا المعترك الخطير.

2. من جملة المؤثّرات السلبيّة الّتي أثّرت في انحراف السلوك عقيدة الإرجاء الّتي أصّلــت عقديًّا للانحراف والفوضى الســلوكيّة قديمًا، وعادت اليوم تحت شــعاراتٍ تحمل البراءة ظاهرًا ولٰكنّها تفسح المجال للانحراف السلوكيّ من ناحيةٍ عمليّةٍ.

3. أن قوام الكمال الإنســانيّ والســعادة البشريّة إنّما هو بالعقيدة الحقّة والسلوك الصحيح الّذي يعدّ الترجمة العمليّة للعقيدة.

قائمة المصادر

1.الطبرسي، الفضل بن الحســن، جوامع الجامع، قم، نشر جماعة المدرســين، 1418ه

2. البيهقي، أحمد بن الحسين، سنن البيهقي، بيروت، دار الفكر، 2001.

3. الخميني، مصطفى، تفسير القرآن الكريم، قم، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، 1418.

4. العاملي البياضي، محمد علي بن يونس، الصراط المستقيم، قم، تحقيق محمد باقر البهبودي، المكتبة المرتضوية، ط1، 1384.

5. الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع، قم، المكتبة الحيدرية، 1387.

6. الصدوق، محمد بن علي، الخصال، قم، تحقيق علي أكبر الغفاري، نشر جماعة المدرسين، 1403.

7. المفيد، محمد بن محمد، أوائل المقالات، بيروت، دار المفيد، ط2، 1993 م.

8. المفيد، محمد بن محمد، الأمالي، قم، تحقيــق علي أكبر الغفاري، نشر جماعة المدرسين، 1374.

9. المتقي الهندي، علي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1989 م.

10. مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، بيروت، دار الفكر، 1421.

11. النوري، حسين، مستدرك الوسائل، بيروت، مؤسسة آل البيت ، 1987م.

12. ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري، بيروت، دار المعرفة، ط1995، 2.

13. الطباطبائي، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، بيروت، منشورات الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، 1384ش.

14. الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد، بيروت، دار الكتب العلمية، 1424.

15. اليزدي، محمد كاظم، العروة الوثقى، بيروت مؤسسة الأعلمي ، ط2، 1988.

16. ابن منظور، جمال الدين محمّد بن مكرمٍ، لسان العرب، قم المقدسة، أدب الحوزة، 1379.

17. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، بيروت ، دار العلم، 1997.

18. قلعه جي، محمد، معجم لغة الفقهاء، بيروت، دار النفائس، ط2، 1988م.

19. الطوسي، محمد بن الحسن، الاقتصاد، طهران، مكتبة جهل ستون، 1382.

20. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، طهران، تحقيق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلاميّة، ط3، 1403.

21. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، بيروت، مؤسسة الوفاء، ط2 ، 1983م.

22. شبر، عبد الله، الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة، بيروت، مؤسسة الوفاء، ط1، 1983.

23. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، قم، مؤسسة آل البيت ، 1414.

24. الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان، تحقيق أحمد قصير العاملي، بيروت، إحياء التراث، 1999.

25. الريشهري، محمد، دار الحديث، قم، مؤسسة آل البيت ،، 1416.

26. العياشي، محمد، تحقيق هاشم رسولي محلاتي، طهران، المكتبة العلمية، 2003.

27. الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، حقائق الإيمان، قم، تحقيق مهدي الرجائي، مكتبة المرعشي، ط1، 1409 م.

28. شبر، عبد الله، حق اليقين، بيروت، منشورات الأعلمي، 1352 هـ